شعب "تشام": مسلمون ألبانيون أجبروا على العيش في اليونان

بقلم سعيد إبراهيم كريديه

ينتمي شعب "تشام" الى العرق الالباني ومكان تواجده الاصلي هو منطقة "إبيروس Epirus" التي تقع على الحدود بين ألبانيا واليونان والمطلة على البحر الايوني مقابل جزيرة "كروفو Corfu" اليونانية، واسم هذه المنطقة بلغة تشام هو: "تشامريا Chameria".



كيف دخل هذا الشعب في الاسلام ولماذا خضع للحكم اليوناني وما حل به الان؟ كل هذه الاسئلة سنحاول الاجابة عنها في السطور التالية.

اصل شعب تشام:

لا يعرف بالضبط بدء الوجود الالباني في منطقة ابيروس، فبعض المصادر تذكر ان هجرة الالبان الى تلك المنطقة بدأت في اواخر القرن 13 وبداية القرن 14، وتولد من اللغة الالبانية عدة لهجات كان منها لهجة شعب تشام التي ميزتهم عن اقرانهم في الشمال.

اعتناق شعب تشام الاسلام:

خضعت منطقة أبيروس للحكم العثماني في القرن الخامس عشر فدخل عدد من سكانها في الاسلام وبقي آخرون على الارثوذكسية، وعرفت تلك المنطقة باسم "تشامريا". وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر دخل المذهب البكتاشي الى البانيا وانتشر في جنوبها بما في ذلك منطقة تشامريا.

ومع تطور الفكر القومي في القرن التاسع عشر لعب مسلمو تشام دورا في تطور النهضة الوطنية لالبانيا حيث تراس بعضهم نوادٍ ثقافية وجمعيات وطنية تدعو لاقامة دولة البانية مستقلة.

الحكم اليوناني 1913-1923

بعد هزيمة العثمانيين في الحروب البلقانية 1912-1913 تقاسمت منطقة ابيروس كل من الدولة الوليدة الجديدة ألبانيا ومملكة اليونان، فأخذت الاولى المنطقة الشمالية والثانية المنطقة الجنوبية التي كان يقطنها عدد كبير من شعب تشام. وعند خضوع هذا الشعب للحكم اليوناني أعطي حق الاختيار بين الجنسية اليونانية او التركية العثمانية، فاختار معظم افراده المواطنة اليونانية. هذا الخيار وضع شعب تشام في اليونان طبقا لقانون هذا البلد تحت فئة الاقلية الدينية بدل الاقلية القومية فأُدرج

الارثوذكس منهم عند اجراء الاحصاءات مع الشعب اليوناني الارثوذكسي بينما اعتُبر المسلمون أقلية لها وضع خاص.

وخلال تلك الفترة فقد البكاوات تشام سلطتهم السياسية التي كانوا يتمتعون بها خلال العهد العثماني، الا انهم حافظوا على نفوذهم الاقتصادي. وفي عام 1915 جرت انتخابات تشريعية فاز المسلون بها بمقعدين من اصل 3 مقاعد مخصصة لمنطقة أبيروس.

التبادل السكاني بين تركيا واليونان وانعكاسه على شعب تشام، 1923-1926:

بعد ان وضعت الحرب التركية اليونانية اوزارها (1919-1922) وقعت الدولتان معاهدة لوزان التي نصت على تبادل السكان بين البلدين على اسس دينية حيث يتم نقل مسلمي اليونان الى تركيا وارسال اليونانيين الارثوذكس في تركيا الى اليونان، وطبعا طبقا لقانون الدولة اليونانية فان على المسلمين من شعب تشام مغادرة البلاد الى تركيا. امام هذا الواقع قدم بعض الساسة في اليونان اقتراحين: الاول هو تبادل مسلمي تشام مع اليونان الارثوذكس المقيمين في تركيا والثاني مبادلتهم مع الاقلية اليونانية في ألبانيا، لكن الاخيرة رفضت الاقتراح الثاني. ومن المؤسف ان الساسة والحكام ينظرون احيانا الى الشعوب وكانها بضاعة او منتوجات يمكن اتمام صفقات من خلالها غير عابئين بالعامل الانساني لها ومتجاهلين تاريخها ومشاعرها ووجدانها التراثي. وهكذا اضحى مسلمي تشام جزءاً من عملية التبادل السكاني حيث كان معظمهم يربط هويته بدينه الاسلامي بدل اصله العرقي او القومي. لكن ألبانيا وايطاليا كان لهما موقفا مغايرا لحكومة أثينا فشددتا على الجانب العرقي لمسلمي واعتبرتهم مواطنين ألبان، فردت الحكومة اليونانية عام 1925، أي بعد عامين من بدء تنفيذ عملية التبادل، بقرار ملتبس معلنةً ان عملية التبادل لن تشمل "المسلمين ذوي الاصول الالبانية" وقد عرفت هؤلاء بالذين ولدوا في ألبانيا او ولد آبائهم في ألبانيا، وهذا القرار بطبيعة الحال يستثني عددا لا بأس به من مسلمي تشامريا اليونانية حيث تم استثناء 1700 مسلم من التبادل واجبر 2993 آخرون على ترك

مناطقهم والرحيل الى تركيا حيث حل رحالهم في كل من استانبول وبورصه، مقابل ذلك استقر في قراهم في اليونان حوالي 16000 لاجئ ارثوذكسي اتوا من الاناضول. كما عمدت الحكومة اليونانية الى مصادرة كل املاك مسلمي تشام من دون المس بأي من املاك تشام الارثوذكس.

فترة "ثيودوروس بانغالوس Theodoros Pangalos"، 1925-1926:

وفي حزيران من عام 1925 قام بعض الضباط بقيادة "ثيودوروس بانغالوس Theodoros Pangalos" بالاطاحة بالحكومة اليونانية والاستيلاء على مقاليد السلطة في البلاد. وكان "بانغالوس" ألباني الهوى يتكلم اللغة الالبانية ويفتخر بأصوله الالبانية، فوضع في اوليات سياسته الخارجية قضية تحسين العلاقات بين ألبانيا واليونان وحماية حقول اقلية تشام المسلمة في اليونان والاقلية اليونانية في ألبانيا، فقرر عند استلامه الحكم وضع حد للتبادل السكاني ووقف ترحيل البان تشامريا الى تركيا وعدم هجرة اليونان الارثوذكس من الاناضول الى تشامريا بل الى منطقة تراقيا الغربية في شمال شرق اليونان كما كان مقرراً اصلاً. ومن جهة ثانية اعتبر "بانغالوس" ان تشام هم أقلية عرقية، ووعد بفتح مدارس ألبانية في منطقة تشامريا.

الانقلاب على "ثيودوروس بانغالوس Theodoros Pangalos" وعودة التمييز ضد شعب تشام، 1926-1936

لم يدم "بانغالوس" طويلاً في الحكم، ففي آب من عام 1926 وقع انقلاب ضده بقيادة "بافلوس كونتوريوتيس Pavlos Kountouriotis" وازيح عن الحكم مما أعاد الموقف اليوناني السلبي من شعب تشام الى سابق عهده.

ففي عام 1927 ألغت الحكومة اليونانية 4 أوقاف من أصل 9، كما حرمت مسلمي تشام واقليات اخرى من الجنسية في حال تركوا البلاد، كما قامت في العام التالي بتحويل اسماء اكثر من 100 قرية ألبانية الى اسماء يونانية.

فترة حكم الدكتاتور "اوانس متاكساس Ioannis Metaxas"، 1936- 1941:

تعتبرالسنوات الممتدة من عام 1936 ولغاية 1941 من الفترات العصيبة في تاريخ شعب تشام في اليونان حيث خضعت البلاد لحكم دكتاتوري كان على راسه الجنرال "اوانس متاكساس Ioannis Metaxas" فمورست العنصرية القومية على كافة الاقليات في اليونان فمنع افرادها من التكلم بلغتها الام وفرضت العقوبة الجسدية على كل من يتكلم لغته الام في المدارس او في الجيش كما ادخلت اللغة اليونانية في كل مدارس البلاد واجبر المسنون الذين لا يعرفون اليونانية على تعلمها في مدارس ليلية.

الحرب اليونانية الايطالية، 1940-1941:

في نيسان من عام 1939 قامت ايطاليا باحتلال ألبانيا، وفي أيلول من نفس العام اندلعت الحرب العالمية الثانية فكانت ألمانيا وايطاليا التي عرفت بدول المحور ضد بريطانيا وفرنسا التي عرفت بالحلفاء. وخلال الحرب العالمية الثانية هاجم الايطاليون اليونان من الحدود الالبانية في تشرين الاول من عام 1940، فردت اليونان باعلان "قانون الحرب" على ايطاليا وممتلكاتها الاستعمارية بما فيها ألبانيا، وهذا ما سمح بمصادرة املاك الاقلية الالبانية بما فيها تشام باعتبارهم من المتعاونيين مع جيش الاحتلال. ومن جهة اخرى تمكنت القوات اليونانية من دحر الايطاليين واستعادة بعض الاراضي التي احتلوها.

التدخل الألماني واقتسام اليونان بين المانيا وايطاليا وبلغاريا، 1941-1944:

أمام هذا الواقع تدخلت ألمانيا لمساندة حليفتها ايطاليا وشنت هجوما بمشاركة بلغاريا على الاراضي اليونانية في نيسان 1941 وتمكنت الدول الثلاث من احتلال كامل التراب اليوناني برا وجزراً واقتسام هذا البلد فيما بينها. ازاء هذا الوضع نشأت عدة حركات مقاومة يونانية ضد احتلال قوات المحور للبلاد، كان اشهرها "جيش التحرير الشعبي اليوناني ELAS" اليساري والذي اسس عام 1942 و "العصبة الوطنية للجمهورية اليونانية EDES" اليميني الذي اسس عام 1941م على يد الكولونيل نابوليون زرفاس Zervas". في هذه الاثناء كانت تشامريا تحت السيطرة الايطالية تعاون سكان منطقة تشامريا مع ايطاليا والمانيا ولم يلقوا منهما العنصرية والسلبية التي مارستها عليهم الحكومات اليونانية المتعاقبة.

استسلام ايطاليا وانسحاب ألمانيا من اليونان 1943-1944:

وفي ايلول من عام 1943 استسلمت ايطاليا ووقعت الهدنة مع الحلفاء فاحتلت ألمانيا كل المناطق اليونانية التي كانت بحوزة الايطاليين بما فيها تشامريا. وفي ايلول من عام 1944 بدأت القوات الألمانية بالانسحاب من اليونان تحت وطأة تقدم الجيش السوفياتي في البلقان مما يجعلها معزولة عن مؤخرتها في وسط أوروبا، وفي تشرين الاول من انسحب الالمان من أثينا فدخلتها قوات المقاومة اليونانية ثم القوات البريطانية فيما بعد.

المجازر ضد شعب تشام 1944-1945:

وفي آب من عام 1944 نفذت قوات حركة EDES مجازر ضد شعب تشام المسلم أثناء مطاردتها للقوات الالمانية مما دفع العديد من افراد هذا الشعب للهجرة الى ألبانيا، وفي آذار العام التالي حصلت نفذت الميليشيات اليونانية مجازر اخرى ضد شعب تشام مما رفع حصيلة القتلى الى 2900 رجل و 214 امرأة و 96 طفل واغتصاب 754 امرأة وتدمير 68 قرية. أما من بقي على الحياة فقد هُجِّر بالقوة في

اطار تطهير عرقي/ديني طال كل المسلمين تقريباً، أما الاقلية الارثوذكسية من هذا الشعب والتي لم يتم تهجيرها فقد تم تذويبها في البوتقة اليونانية اليهلينية.

مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية:

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية واستقرار الاوضاع في اليونان بعد ان عصفت بها حرب اهلية (1946 – 1949) بين الاحزاب اليمينية واليسارية وانتهت بهزيمة الاخيرة، ما زالت حكومة أثينا مصرة على ان مسلمي تشامريا البالغ عددهم حوالي 150.000 الذين فروا الى ألبانيا لا يمكنهم العودة الى اليونان لانهم تعاونوا مع ألمانيا وايطاليا خلال الحرب العالمية الثانية وهم مجرمي الحرب حسب القوانين اليونانية. وفي ألبانيا ذاتها لم يشأ الحزب الشيوعي الذي وصل إلى السلطة آنذاك (خريف 1944 (تصعيد هذه القضية لأسباب عدة، فشتت المهجرين/ المهاجرين "التشام" في كل أرجاء ألبانيا ومنحهم لاحقاً الجنسية الألبانية بقرار واحد دون أن يطلبوها أو يرغبوها ! ولكن بعد سقوط احتكار الحزب الشيوعي للسلطة في نهاية 1990 برز بقوة "التشام" في ألبانيا الذين وصل عددهم (مع أولادهم وأحفادهم) إلى حوالي 200 ألف، بالإضافة إلى أكثر من مئة ألف في تركيا والولايات المتحدة وغيرها.

الضغوط الإقليمية والدولية

أولًا: الدور التركي:

ترى الدبلوماسية التركية أنه لا بُدَّ من قيام المجموعة الأوروبية والاتحاد الأوروبي بالضغط على الحكومة اليونانية؛ من أجل الاعتراف بمسئوليتها عن مشكلة الشعب الألباني التشاميري، والقيام بدفع التعويضات عن جميع الخسائر المادية التي لحقت به جراء المجازر المتتالية؛ ولذا تقدمت بالاقتراحات التالية بهدف إيجاد حل عادل لهذه القضية:

ـ عقد مؤتمر دولي تشارك فيه الحكومة الألبانية في تيرانا لإعادة الحقوق للأقلية الألبانية في اليونان، واعتراف اليونان باضطهادها لهذه الأقلية.

ـ الاعتراف بهوية الأقلية الألبانية المسلمة والأرثوذكسية في اليونان، كما تعترف ألبانيا بوجود أقلية يونانية لديها، وتتمتع بجميع حقوقها.

ـ تقديم تعويضات من الحكومة اليونانية لألبان تشاميرية مقابل الأراضي التي صودرت منهم.

ـ تشييد كنيسة أرثوذكسية مستقلة عن الكنيسة اليونانية لألبان الإقليم من الأرثوذكس كما تعهدت بذلك الحكومة اليونانية حين وقعت على معاهدة احترام حقوق الأقليات في عام 1920م (ولم تُنفذ حتى الآن).

ـ إعادة الألبان المهاجرين من تشاميرية منذ عام 1944م إلى أرضهم، ودفع تعويضات لهم عن الضرر الذي لحق بهم خلال 55 عامًا.

ـ إعادة الجنسية اليونانية لهم (لِمَا يترتب عليها من حقوق قانونية).

وفي 1994/10/29م، عُقد في أنقرة في تركيا مؤتمر دولي عن حقوق الأقليات في اليونان، وقد حضره ممثلون عن اليونان رفضوا الاعتراف بوجود أقلية ألبانية لديهم، وقد رد عليهم ممثل ألبانيا "شريف دلفينا"، الذي أحضر معه وثائق من أرشيف رئاسة الوزراء التركية.

ثانيًا: البرلمان الأوروبي:

كثير من الأوساط الأوروبية تعتقد أن اليونان هي البلد الأوروبي الوحيد الذي لا يعترف ولا يريد الإقرار بوجود أقليات عرقية لديه (خلاف الأقلية التركية)، وقد تقدم 6 من أعضاء البرلمان الأوروبي بمذكرة حول أوضاع الأقلية الألبانية في اليونان، وطالبوا بمعاملة الأقلية الألبانية في اليونان كما تُعامل الأقلية اليونانية في ألبانيا؛ حرصًا على توطيد العلاقات بين الدولتين الجارتين، وطالبوا بضرورة عودة ألبان تشاميرية والمهجرين قسرًا من قبل السلطات اليونانية إلى أراضيهم، ودفع التعويضات اللازمة لهم.

في عام 1987م، ذهبت لجنة من الاتحاد الأوروبي لتقصي أوضاع الأقلية الألبانية، والمنتشرة في حوالي 300 قرية ألبانية في إقليم تشاميرية في اليونان؛ بهدف زيارة

المناطق التي تتحدث باللغة الألبانية، وتقييم سياسة الحكومة اليونانية تجاههم، ومدى ممارستهم لحقوقهم المدنية، وخاصة في مجال التعليم، وحول نظرة الحكومة والمسئولين اليونانيين إلى مسألة تدريس اللغة الألبانية للأقلية الألبانية في اليونان، وفي حوار لهذه اللجنة الأوروبية مع ممثل للحزب الديمقراطي الجديد، صرح بأنه: ‘‘لا حاجة لتدريس اللغة الألبانية في المدارس؛ لعدم وجود من يهتم بها’’، وخلال لقاء لهم مع ممثل الحزب الاشتراكي، صرح الأخير بأن الشخص الذي لا يتحدث اللغة اليونانية لن يتمتع بالجنسية اليونانية، وأنكر أن تشاميرية أرض ألبانية استولت عليها اليونان.

أسباب تشدد الموقف اليوناني:

مشكلة التعصُّب اليوناني ضد الأقليات نابعة من كون اليونان دولة قامت حدودها على أجزاء من أراضي دول أخرى، مثل بلغاريا ومقدونيا وألبانيا، وفيها العديد من الأقليات كالتركية والألبانية والمقدونية والبلغارية، وفي سبيل الحفاظ على هذه الأراضي، قامت بطمس هوية هذه الأقليات، وهي تخشى في نهاية الأمر تفككها إذا نجحت أقلية من هذه الأقليات في الحصول على استقلالها؛ الأمر الذي يحفز باقي الأقليات على طلب الأمر نفسه، وتصبح اليونان مثل يوغسلافيا السابقة.

ويبدو أن الاتحاد الأوروبي يخشى من تفاقم الأمور مستقبلًا على نحو ما حدث في كوسوفا – من بدء الشباب الكوسوفي حرب عصابات مسلحة من أجل استعادة حقوقه ونيل الاستقلال – وخاصة أن الموقف الأمريكي يتميز بالصمت المؤيد لهذه القضية، وقد بدأت الكثير من المؤسسات الألبانية الأمريكية في الولايات المتحدة الأمريكية توضيح الأهداف المشروعة، وحسب القوانين الدولية، للشعب الألباني في إقليم تشاميرية. و(حتى الآن) لا تطلب مؤسسة تشاميرية الألبانية في تيرانا تغيير الحدود، وإعادة ضم الإقليم إلى ألبانيا، كما كان في الماضي، وإنما تطلب عودة الأراضي التي صودرت لأصحابها مع دفع التعويضات اللازمة لهم جراء الأضرار المادية والمعنوية التي لحقت بهم.

تصاعد دور مؤسسة تشاميرية واتساع أنشطتها المحلية والدولية:

-في يناير من عام 1991م، تأسست في تيرانا عاصمة ألبانيا مؤسسة سياسية وطنية تشاميرية (SHPAC)، بهدف ‘‘التعبير والدفاع عن مصلحة الشعب التشاميري’’.

وتؤكد مؤسسة "تشاميرية"، وبعد سقوط النظام الشيوعي في ألبانيا، أنها وجدت تأييدًا من الحزب الديمقراطي الذي وصل إلى السلطة في مارس 1992م حتى عام 1997م، أكثر بكثير من الحزب الاشتراكي – الحاكم حاليًّا في ألبانيا – الذي له علاقات وطيدة الصلة باليونان، ويحظى بدعم دائم وغير خفي منها، وفي كل مرة يأتي وزير يوناني بزيارة ألبانيا يقوم أعضاء مؤسسة تشاميرية بمظاهرات للتذكير بمطالبهم العادلة.

- وفي أغسطس (آب) من عام 1999م، وخلال زيارة رئيس الوزراء اليوناني إلى ألبانيا، قامت مؤسسة تشاميرية بتنظيم مظاهرات كبيرة في العاصمة تيرانا؛ احتجاجًا على تصلب موقف الحكومة اليونانية من مطالب التشام، ورفعوا مذكرة بمطالبهم للحكومة الألبانية في تيرانا، كما أرسلت نُسخًا أخرى للمنظمات الدولية العاملة في تيرانا، وذكروا في مطالبهم:

1- دعوة حكومة تيرانا للتفاوض مع حكومة أثينا من أجل عودة الشعب التشاميري لأرضه.

2- إرجاع جميع الأراضي التي صودرت من قِبل الحكومة اليونانية بعد الحرب العالمية الثانية.

3- دفع التعويضات اللازمة عن فترة استخدام هذه الأراضي من قِبل السلطات اليونانية.

4- احترام حقوقهم الإنسانية والقانونية طبقًا لنصوص القانون الدولي والاعتراف بها، ومنها حقهم في فتح مدراس باللغة الألبانية، وإصدار صحف ومجلات بلغتهم أيضًا.

5- دعوة حكومة تيرانا لرفع قضيتهم للمحافل والمنظمات الدولية من أجل إيجاد حلٍّ عادل لها.

- وفي نوفمبر من العام نفسه، نظمت مؤسسة تشاميرية مؤتمرًا في تيرانا باسم "قضية التشام.. والسعي للحل"؛ حيث شرحت الخلفيات التاريخية للمشكلة، والطرق المؤدية لحلٍّ شامل لهذه القضية.

وفي الفترة نفسها، شاركوا في مؤتمر دعت له منظمة الأمن والتعاون الأوروبي عن حقوق الأقليات؛ لعرض أبعاد قضيتهم على المجتمع الدولي.

-واتسعت أنشطة "تشاميرية" الدولية، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، وبالتعاون مع جميع المؤسسات الألبانية الأخرى التي أنشأها المهاجرون الألبان من جميع المناطق الألبانية خلال العقود الماضية (ألبانيا، كوسوفا، مقدونيا، تشاميريا، الجبل الأسود، ألبان صربيا)، وقد أصدروا جريدة "العالم اليوم"، وقام التجمع الألباني في "ميتشينجام" بعقد مؤتمر قومي، دعوا إليه جميع الألبان في الولايات المتحدة الأمريكية؛ للتعريف بقضية الشعب الألباني التشاميري، وبثقافته وتراثه، وأطلقوا شعار "قضية تشاميرية.. قضية الساعة".

المراجع:

العربية

الارناؤوط، محمد م. "العلاقات الالبانية اليونانية في منعطف جديد". جريدة الغد. 25/12/2005. http://www.alghad.com/index.php/article/58769.html

صلاح، هاني. "إقليم تشاميرية الألباني" .. قصة إبادة شعب وتدمير هوية. مجلة منار الإسلام. أغسطس، 2004.

English:

Ethnic Albanians in Greece.
http://members.tripod.com/camerian_volunteer/Cham_Albanians.html.
20.9.2012.

Manda, Eleftheria. *The Muslim Chams of Epirus (1923-2000)*. Thessaloniki: Institute for Balkan Studies 2004.

Pentzopoulos, Dimitris . *The Balkan Exchange of Minorities and Its Impact on Greece*. London, UK: C. Hurst & Co, 2002.

Vickers, Miranda. “The Cham Issue - Albanian National & Property Claims in Greece”, *Conflict Studies Research Centre,* Eastern Europe Series, April 2002.

Vickers, Miranda. “The Cham Issue – Where to Now?”, Conflict Studies Research Centre, Balkans Series. January, 2007.

Yildirim, Onur . *Diplomacy and Displacement: Reconsidering the Turco-Greek Exchange of Populations, 1922-1934*. New York : Routledge, 2006.